

تمهيد:

فضلا عن آليات المناهج النقدية التي تطرقنا إليها في المحاضرات السابقة وذلك لمقاربة النص السردي، يمكننا القول أنه ما زالت معنا المزيد من الإنتاجية الغربية للآليات وهي في حالة من وفرتها، وبناء على ما سبق ستكون وقفنا هذه المرة على ما يطلق عليه سمية التنصيص، حيث تنسب الجهود فيه إلى تقديمات الناقدة البلغارية جوليا كريستيفا، وسنتبين طرح هذه الآلية من خلال مدونتها علم النص¹.

1- المنطلق الأول:

ترى جوليا كريستيفا بأن النص تغيرت النظرة إليه أو يجب أن تتغير النظرة إليه على أساس أنه وحدات لسانية، قد تكون للاتصال، أو النظر إلى مسار الدال باسم الجمالية، كما تضيف بأن رفض النظر إلى النص من هذه الزاوية يلحقه التسليم بإسقاط الأطراف الثلاث عن النص والمتمثلة في: المقدس، السحر، الأثر²، ومن هنا يبدأ الأمر مع جوليا كريستيفا عندما تشرع في تفصيل الكلام عن النص، وترى بأنه قد آن الأوان للاشتغال على "تفرد النص وتسجيل مواقع قوته وتحوله وصيرورته التاريخية وأثره على مجموع الممارسات الدالة"³.

وتبقى خصيصة النص من حيث الدال؛ لأن "الدال النصي هذا ليس واحدا أحدا بما أنه لم يعد مرتبطا بمعنى ذي جوهر واحد ووحيد، هو شبكة من الاختلافات التي تسم و / أو تصب في تحولات الكتل التاريخية"⁴. إن إلغاء الواحد والوحيد على مستوى المعنى، يجر إلى الحديث عن تعددية معنى هذا الدال في حد ذاته، مما يفضي بالنص إلى أن يصير وهذا هو

الأهم عند جوليا كريستيفا إلى بناء التتاص، فيتحول النص إلى فضاء : " .. يُلعب فيه ويُمارس ويُتمثل التحويلُ الاليسيتيمولوجي والاجتماعي والسياسي. فالنص الأدبي خطاب يخترق حاليا وجه العلم والايديولوجيا والسياسة ويتنطع لمواجهتها وفتحها وإعادة صهره. ومن حيث هو خطاب متعدد ومتعدد اللسان أحيانا ومتعدد الأصوات غالبا (من خلال تعدد أنماط الملفوظات التي يقوم بمفصلتها) ، يقوم النص باستحضار *présentifie* كتابة *graphique* ذلك البلور الذي هو محمل الدلالية المأخوذة في نقطة معينة من لا تنهائها، أي كنقطة من التاريخ الحاضر حيث يلح هذا البعد اللامتناهي"⁵

إن أساس الطرح الجديد الذي يحدد كيفية تشكل النص بحسب تقديرات جوليا كريستيفا هو الانبناء النصي على التعدد من حيث تعدد الخطاب، تعدد اللسان، وأخيرا تعدد الأصوات، و"بهذا الشكل يتميز النص جذريا عبر فرادته تلك "⁶ على حد قول جوليا. هذه الفردة التي تلغي عنه الأحادية، الخضوع للقوة المسيطرة من الداخل، الانفتاح على الإيديولوجي أوالسياسي المسيطر، تغذية النزعة السوسيولوجية، أو الاحتكام إلى اللذة في حالة التعلق مع المرسل إليه / متلقي النص، وتغذية في هذا النزعة الجمالية، وليس الاحتكام إلى النزعة اللسانية بما هي طابع تركيبى ودلالي يخضع لقواعد النحوية في النص أو قد يخضع حتى إلى اللانحوية. إن التعددية هي الانفلات مما سبق، كما أنها السبيل للجديد القادم من النص وعلى مستوى النص برؤيا مأخوذة بالمغاير والمختلف عن كل الطروح السابقة؛ وتعليل المغاير في ظل ما سيق: أن "النص ليس مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللانحوية، إنه كل ما ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف طبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان والعاملة على تحريك ذاكرته التاريخية"⁷.

تتوسع الفكرة أكثر كما تتضج كطرح مفاهيمي يحيطه التنظير من كافة الزوايا من خلال الاعتراف ب: "النص كجهاز عبر لسانی يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام

تواصل يهدف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أوالمتزامنة معه، فالنص إذن إنتاجية وهو ما يعني:

أ-أن علاقته باللسان الذي يتموقع داخله هي علاقة إعادة توزيع (صادمة بناءة) ولذلك فهو قابل للتناول عبر المقولات المنطقية لا عبر المقولات اللسانية الخالصة.

ب- أنه ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتتافى ملفوظات عديدة متقطعة من نصوص أخرى⁸ .

لقد اكتسب النص خاصيتين الأولى منهما أنه كون له علاقة باللسان، وذلك اللساني من أهم مميزاته أنه قابل لإعادة التوزيع ضمن نسق النص. أما الخاصية الثانية أن تلك الملفوظات التي يتعالق معها النص يمكنها أن تكون ملفوظات متزامنة أو سابقة للنص، وهذا الذي يسمح بدخولها في تركيب جديد ذو طبيعة لسانية، وبما أنها سابقة فهي مع النص الجديد تكون سبيلا لترحال الملفوظ السابق، أو النصوص السابقة داخل هذا النص الجديد، فيصير كونا تركيبيا مزجيا بين السابق والجديد، إنه مركز تقاطع النصوص، وبهذا تتبدى أولى الشروط التي يعتمل وفقها التناص.

إن هذه العملية جميعها ينتظمها مصطلح "إيديولوجيم" ومفهومه: "يعني تلك الوظيفة للتداخل النصي التي يمكننا قراءتها ماديا على مختلف مستويات بناء كل نص تمتد على طول مساره مانحة إياه معطياته التاريخية والاجتماعية"⁹ ، وفي زاوية أخرى من الطرح تقدم كريستيفا الإيديولوجيم مفهوما على أن: " إيديولوجيم نص ما، هو البؤرة التي تستوعب داخلها العقلانية العارفة تجول الملفوظات (التي يمكن اختزال النص فيها أبدا) إلى كل جامع (النص) وكذا باندماج تلك الكلية في النص التاريخي والاجتماعي"¹⁰ . ومع ذكر الايديولوجيم يتحدد ذكر الملفوظ الروائي، وتحده كريستيفا مفهوما على أنه: "ليس الملفوظ الروائي بالنسبة لنا مقطعا أدنى (عنصرا أوليا entité متحددا نهائيا) إنه عملية وحركة

ترتبط بل أكثر من ذلك تشكل ما يمكن أن نسميه ببراهين العملية التي تكون - في حالة النص المكتوب - إما كلمات أو متواليات من الكلمات (جمل، فقرات) وتدرسها باعتبارها وحدات دلالية كبرى (سيميات)، لن ينصب تحليلنا على العناصر الأولية في ذاتها (السيميات في ذاتها) وإنما على دراسة الوظيفة التي تحيط بها في النص¹¹ .

2-التداخل النصي:

لا بد من الانطلاق من النص الذي يتحول إلى "حركة إعادة تنظيم، إنه مرور محموم ينتج الهدم"¹²، في الوقت عينه هناك هجرة النصوص، وفي ظل هذا تصل كريستيفا بحسب النص الشعري إلى تحديد آلية ميلاد الغريب في فضاء اللغة الشعرية وأطلقت عليه سمية التداخل النصي والتصنيف¹³، وقد جعلته على أقسام، وهي:

أ-النفى الكلي:

أول صورة من صور التصنيف وقد حددت مفهومه على أن "فيه يكون المقطع الدخيل منفيا كلية، ومعنى النص المرجعي مقلوبا"¹⁵، ومثال هذا النوع مقطع لباسكال وكيف يتداخل مع نص لوتريامون، يقول لباسكال "وأنا أكتب خاطري، تنفلت مني أحيانا، إلا أن هذا يذكرني بضعفي الذي أسهو عنه طوال الوقت، والشيء الذي يلقنني درسا بالقدر الذي يلقنني إياه ضعفي المنسي، ذلك أنني لا أتوق سوى إلى معرفة عدمي"¹⁶، وهو ما يصبح عند لوتريامون: "حين أكتب خاطري فإنها لا تنفلت مني هذا الفعل يذكرني بقوتي التي أسهو عنها طوال الوقت، فأنا لا أعلم بمقدار ما يتيح لي فكري المقيد، ولا أتوق إلا إلى معرفة تناقض روعي مع العدم"¹⁷ .

ب-النفى المتوازي:

تحده كريستيفا على أنه فيه "يظل المعنى المنطقي للمقطعين هو نفسه"¹⁸، ومثال هذا مقطع للاروشفوكو " إنه لدليل على وهن الصداقة عدم الانتباه لانطفاء صداقة أصدقائنا"¹⁹،

فيصبح عند لوتريامون: "إنه لدليل على الصداقة عدم الانتباه لتنامي صداقة أصدقائنا"²⁰ وتؤكد كريستيفا أن هذا لا يمنع من إضافة معنى جديد على النص الأصل.

ج-النفي الجزئي:

وتحدد هذا النوع الأخير على أنه "جزء واحد فقط من النص المرجعي منفي"²¹ ، ودليل هذا النوع شاهد باسكال حيث يقول: "نحن نضيع حياتنا فقط لو نتحدث عن ذلك"²²، وقد أصبح حالها مع لوتريامون: " نحن نضيع حياتنا ببهجة، المهم ألا نتحدث عن ذلك قط"²³ .

خاتمة:

هذه أبرز التقديمات عن التناص عند جوليا كريستيفا مع الإشارة أنها تأثرت بأستاذها باختين عندما سبقها في الحديث عن الحوارية وجاءت تلميذته وطرحت الايديولوجيم، مع الإشارة أنه مايزال بحوزة كريستيفا الكثير الذي تقوله عن التناص، حيث الطريقة القديمة تقوم على الحوار في حين النصوص الحداثية تقوم على الامتصاص. أما عندما يتعلق الأمر بالرواية فإن الأمر سيتعلق بالوظيفة اللانفصالية للرواية على مستوى الملفوظات حيث تتمظهر تلك الوظيفة كتناغم من الانزياحات وله عديد مظاهر كاستشهادات من نصوص التعاليم الأخلاقية، أو نصوص شفوية... فهي كلها تقضي إلى فضاء تتعايش فيه النصوص بما هي مختلفات، ناتجها هو المعنى الجديد المتولد من ذلك الدخيل.